أمالي السنة : ٤

اصل كلمة «الحواريين»

بقلم الاب مرمرجي الدومنيكي
من اساتذة المعهد الكتابي والاثري الفرنسي في القدس الشريف

مظانّ ورودها

هذه اللفظة مشتهرة بين الجمهور بانها « قرآنية » ؛ لكن الباحث يجدها واردة ، فضلًا عن المصحف ، في ما دعوه « الشعر الجاهلي » ، وفي الحديث ، والاناجيل المعرّبة ، والكتب النصرانية الكنسية . ولذا ، يجدر بنا ، توفية للبحث ، ان نتقصّى اثرها في جميع هذه المواطن ، لنرى ماذا يراد بها.

في الشعر الجاهلي

جاءت «الحواريون» مفردةً مذكّرةً ، في القصائد المعروفة بالاصمعيات ، على لسان الضابئ بن الحارث ، قال:

« وكرّ كما يكرّ « الحواري » يبتغي الى الله زلفى ان يكرّ فيقتلا »

ووردت بهذه الصيغة ايضاً في البيت الآتي المنسوب الى السمؤل:

« وسليمان « والحواري » نجي ومتى يوسف كافي وليت »

الظاهر من البيت الاول ان كلمة «الحواري» مطلقة على تلاميذ المسيح ، وقد سُمّي الجميع باسم الواحد . ويؤيد ذلك البيت الثاني الذي يدعو باسم «الحواري» اثنين من الرسل وهما يحيى (يوحنا الحبيب) ومتى الانجيلي . الّا ان ذلك لا يأتي بادنى دلالة على معنى الحواريّ واصلها.

في القرآن

ذكرت اللفظة ، بصيغة الجمع المذكر ، في ثلاث سور من الفرقان ، كما يلي:

« فلما احسّ عيسى منهم الكفر ، قال : من انصاري الى الله ؟ قال « الحواريون » : نحن انصار الله ؛ آمنا بالله ؛ واشهد باننا مسلمون.» (عمران ٥٢)

«واذ اوحيت الى «الحواريين» ان آمنو بي وبرسولي ، قالوا: آمنا ؛ واشهد باننا مسلمون. اذ قال «الحواريون» : يا عيسى ابن مريم ، هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال: اتقوا الله ان كنتم مؤمنين» (مائدة ١١٤،١١٥)

«ايها الذين آمنوا ، كونوا انصار الله ؛ كما قال عيسى ابن مريم «للحواريين» مَن انصاري الى الله ؟ قال «الحواريون»: نحن انصار الله» (الصف ١٤).

لا يظهر من هذه الآيات الا علاقة تلك الفئة من القوم بالمسيح ، الذي يدعوه المصحف «عيسى ابن مريم» اما معنى الحرف واصله فليس هناك ما يهتدى به اليها.

فاذا كان الشعر الجاهلي والقرآن خلواً من دلالة ، صريحة ام ضمنية ، على اصل اسم «الحواريين» ، فلنعمد الى المفسرين ، واهل المعاجم ، لعلنا نقتبس شعاعاً من نورهم . قال الطبري (طبعة مصر ، مجلد ٣ ، وجه ٢٠١) : «واشبه الاقوال التي ذكرنا في معنى الحواريين ، قول من قال: سموا بذلك لبياض ثيابهم ولانهم كانوا غسّالين . وذلك ان الحَوَر ، عند العرب ، شدة البياض ؛ ولذلك سمي الرجل الشديد بياض مقلة العين احوَر ؛ والمرأة حوراء . وقد يجوز ان يكون حواريو عيسى كانوا سموا بالذي ذكر ، من تبييضهم الثياب ، وانهم كانوا قصّارين . فعرفوا بصحبة عيسى ، واختياره اياهم لنفسه اصحاباً وانصاراً. فجرى ذلك الاسم لهم واستعمل ، حتى صار كل خاصة للرجل من اصحابه وانصاره «حواريه» ولذلك قال النبي (ص): لكل نبيّ حواريّه ؛ وحواريّ الزبير . يعني خاصته».

قال النيسابوري (في حاشية الطبري ، مجلد ٣ ، وجه ٢٠٤): «حواريّ الرجل صفيّه ، وخالصته . . . وحوّرت الثياب بيّضتها . والحواريّ واحد ؛ ونظيره الحوالي وهو كثير الحيلة ؛ والجمالي الرجل الضخم الاعضاء . عن الضحاك : الذي يغسل الثياب يسمّى بلغة النبط «حواري» فعُرّب . واما الحواريون من هم ؟ فقيل : هم الذين كانوا يصطادون السمك ، فاتبعوا عيسى وآمنوا به . . . قالوا : من افضل منّا ؟ اذا شئنا ، اطعمتنا ؛ واذا شئنا ، اسقيتنا ؛ وقد آمنّا بك . فقال : افضل منكم من يعمل بيده ، ويأكل من كسبه . قال : فصاروا يغسلون الثياب

فسّروا حواريين.»وقال البيضاوي (ص ٦٩) : « حواري الرجل خالصته ؛ من الحوّر . . . سمي به اصحاب عيسى ، عليه الصلاة والسلام ، لخلوص نيتهم ، ونقاء سريرتهم.وقيل كانوا ملوكاً يلبسون البيض ، استنصرهم عيسى ، عليه السلام ، من اليهود.وقيل: قصّارين ، يحوّرون الثياب.»

وفي وسعنا ان نورد اقوال غير هؤلاء الائمة ، وشواهد اهل المعاجم ؛ الا اننا نعدل عن ذلك لتشابه آرائهم جميعاً ، ولنقلهم الواحد عن الآخر . وقد قال بقول الاقدمين المفسّرون العصريون ؛ منهم مولوي محمد علي الهندي ، الذي نشر القرآن بنصّه العربي ، وبازائه ترجمته ، وبذيله تفاسير ضافية بالانكليزية[1]

وانت ترى انه من العسر استخلاص نتيجة ثابتة من هذه التفاسير والاقاويل المضطربة المتضاربة ، لاستنادها ، لا الى مصادر تاريخية ، بل الى السند العزيز على القدماء ، الملخص بهذه العبارة الشهيرة «قيل ، ويقال» والسبب في ذلك ان هؤلاء الشرّاح لم يطلعوا ، هم بذاتهم ، على المستندات ذات الشأن ، بل كانوا يسائلون ، في ذلك ، النصارى الذين دانوا بالاسلام . واغلب هؤلاء كانوا من الطبقة الجاهلة الانجيل ، واصول الدين . فنقلوا اليهم هذه الاخبار وغيرها مشوّهة ، ممسوخة . اما ما عرفناه من الانجيل والتاريخ الكنسي والمدني ، فهو ان اكثر تلاميذ المسيح كانوا صيّادين . ولم يرد في احد هذه المظانّ انهم كانوا قصّارين ، او ملوكاً ، او غير ذلك.

هذا من جهة التاريخ ؛ اما من جهة الاشتقاق اللغوي ، فالقول بان «الحواري» آتٍ من فعل «حَوِر» الدالّ على البياض ، ليظهر هو ايضاً غير قوي الحجة ؛ ومنشأه ان اهل المعاجم وائمة العربية لم يكونوا في الغالب يعرفون غير لغة النقاد؛ ولاعتقادهم ان ليس في هذه اللسان ، ولاسيما في القرآن ، الفاظ دخيلة ، قد اتبعوا قاعدة مطردة وهي ان يحاولوا ردّ كل لفظة الى اصل عُربي . ولهذا قد خلّفوا لنا في مصنّفاتهم تآويل وتخاريج تضحك الثكلى.

على اننا اذا فرضنا ان «الحواري» كلمة عربية ، فنظنّ ان اشتقاقها من

1) *the holy Qor'an (p. 159) by* Moulwi Muhammad Ali, *Lahore, Penjab, India, 1920*

«حَوِر» من الامور غير الهينة. ودونك اولاً معنى هذا الفعل كما ورد في المعاجم: «حَوِر الغلام والجارية «حَوَرًا» اشتدّ بياض عينه وسوادها ، واتسعت حدقتها ، ورقّت جفونها ، وابيضّ حواليها ، مثل الظباء والبقر.» ولا ريب انك لحظت ان مصدر «حَوِر» هو «الحَوَر» ؛ فاذا نسب اليه قيل «الحَوَري». واما «الحَوَار» المنسوب اليه «الحواري» فليس مصدرًا او اسماً من «حَوِر» ولا معناه البياض ، بل «المحاورة والحديث». اجل اننا لا نجد ان قد ورد في اللغة وزن «فُعَالي» بيد انه ، فضلًا عن ندوره ، لا تستعمل صيغته في الغالب ، الّا لاعضاء البدن، فتدل على ضخامة فيها ، نحو : رُؤاسي ، كبير الراس ؛ انافي ، كبير الانف ؛ اذاني ، كبير الاذنين ؛ عَضادي ، ضخم العضدين. وهـذا الذي اضطر بعض المحققين ، كالتفتازاني ، الى التخريج بقولهم ان اصل « الحواري» هو «الحَوَري» زيدت فيه ألف عند نسبته ، للمبالغة . ونحن نعلم ، من كتب النحو ، ان العرب ، اذا ارادوا المبالغة في وصف شي ، ادخلوا عليه ياء النسبة في آخره ، فيقولون في الاحمر «الاحمري» ، وفي الابيض «الابيضي» ، وفي الاحور «الاحوري». وعلى كلٍ ، سوف ترى ادناه هل لهذه التوجيهات من صحّة.

كلمة «الحواريين» عند النصارى

لمادة «حَوِر» بمعنى البياض ، وجود ليس في العربية فقط ، بل في الارمية، والعبرية ؛ ولفظتا هذين اللسانين هما : (Ḥwar) و (Ḥawar)

اما كلمة الحواريين (بدلالتها على رسل المسيح) فلا دخل لهـا في العبرية ولا عند العبريين. على ان الارميين ، الذين تنصروا سريانًا بعد تنصرهم — ولذا دعيت لهجتهم الارمية سريانية — قد استعملوا «الحواريين» في كتبهم التي ألفوها بالعربية ؛ وفي اناجيلهم المنقولة من لغتهم الى هذه اللغة ؛ ولديهم كلمة وردت كثيرًا في اسفارهم الكنسية وهي: (Ḥéwārē) ومعناها « البيض » وقد نسبها بعضهم الى الرسل ، وقالوا انها مقابل « الحواريين » القرآنية ؛ لا بل ان لفظة «الحواريين» عينها معرّبة عنها ، فما علينا ، والحالة هذه ، سوى مواصلة التنقيب ، لنستطلع كنه الحقيقة.

نظن ان اقدم كتاب ، عند النصارى ، وجدت فيه كلمة «الحواريين» بعد

عشر القرآن ، هو كتاب الترجمة العربية « للدياطسرون » او الانجيل المربع ، الراقي اصله السرياني المفقود الى القرن الثاني ؛ ومعرّبه الى القرن العاشر . ثم في كتاب «التراجم السنية في الاعياد المارانية» لايليا ابي حليم بطريرك النساطرة ، من اهل القرن الثاني عشر . وكذلك في اغلب الترجمات الانجيلية ، المتوالية قرناً بعد قرن ، كالاناجيل الخطية الموجودة في خزانة القبر المقدس ، للروم الارثذكس في القدس ، والمتراوح عهدها بين القرن ١٢ والقرن ١٧ للميلاد . فهذه الاسفار باسرها — كما تحققنا ذلك بمراجعتنا كل المظانّ فيها بذاتنا — تطلق كلمة « الحواريين » على الرسل الاثني عشر . الّا انها ، خلافاً للقرآن ، تسميهم غالباً باسم الرسل او التلاميذ ، ونادراً باسم «الحواريين» ، وفي بعضها اي في كتب الكلدان مثلاً ، تجد كلمة «السليحين» التي هي تعريب (šliḥē) السريانية ومعناها الرسل .

هل «HEWARE» السريانية تأتي بمعنى الرسل ؟

قلنا ان السريان استعملوا ، بعض الاحيان ، في اناجيلهم العربية كلمة «الحواريين» لتسمية الرسل . بيد ان الاظهر لنا انهم اخذوها عن القرآن ؛ وانها ليست بترجمة عن (Héwārē) اما الحرف الذي عرّبوه فهو كما رأيت اعلاه (šliḥē) ؛ غالباً «الرسل» ومرةً «السليحين» واخرى «الحواريين» . فلنرَ الآن هل اطلق اسم (Héwārē) على الرسل ، خارج الانجيل .

بين يدينا سبعة معاجم من اشهر كتب اللغة السريانية : اولها واقدمها ، معجم بربهلول ؛ واوسعها واتقنها معجم سيث الانكليزي (*Thesaurus syriacus*) ؛ ثم معاجم بروكلمن المستشرق الالماني ؛ والمطرانين الكلدانيين : اودو ومنّا ؛ والاب بُرُن اليسوعي ، والاب القرداحي الماروني .

ودونك زيادة في الايضاح ، مختلف معاني (Héwārē) الآتية من فعل : (Hwar) ومدلوله «حَوِر ، ابيضّ» .

(Hewārē) : البيض (الثياب) . — الدراهم — الفضة — البيض (الرجال ذوو اللون الابيض) — الامويون والفاطميون ، للبسهم الابيض — ثياب الشمامسة الانجيليين — لبس اساقفة الفرس — لبس الملائكة .

هذه اغلب المعاني المطلقة على لفظتنا . وما عدا معجمي المطران منّا والاب

القرداحي ، لم نجدها مترجمة بكلمة «الحواريين» في كل المعاجم المذكورة ولاسيما في معجم سميث ذاك الكنز الكبير الحاوي من اللغة السريانية كل آبدة وشاردة. وكنا قد سألنا المطران منّا ان يوقفنا على المصدر الذي استمدّ منه ذلك ، فاجابنا انه اعتمد على الاب القرداحي فنقلها عنه. واما صاحب «اللباب» فلا ندري اين وجدها ؛ ولاسيما انه ، خلافاً لعادته المألوفة لم يأتِ بنصّ من الكتبة السريان ، السابقين او اللاحقين الاسلام ، ادعاماً لرأيه.

SABTA D'HEWARE

على انه ان كانت هذه الكلمة السريانية لا تدلّ على «الحواريين» وهي منفردة ، فلربما دلّت عليها وهي مركبة مع لفظة اخرى. وبالحقيقة هناك عبارة اخرى من هذا القبيل ، وهي (šabta d'Héwārē) وقد اختلف ايضاً في مدلولها وترجمتها . دونك ما جاء عنها في المعاجم : القرداحي عبّر عنها بسبة (اسبوع) الحواريين او الرسل ؛ والمطران منّا بالسبة التابعة للقيامة والعنصرة ؛ وسميث وبركلمن وبرن أدّوها بهذا التعبير اللاتيني : (*Hebdomada albarum*) اي اسبوع البيض . اما برپلول فلا يذكر سوى العبارة الآتية : (šabat šabē) اي اسبوع الاسابيع ، وتابعه فيه المطران اودو.

ورودها في الاناجيل

لا ذكر لكلمة «الحواريين» في انجيل الملكيين ، وليس عندهم طقس او اسبوع يسمّى بها — وكذا الامر عند الارمن — بل يدعى هذا الاسبوع ، في كلتا الكنيستين «اسبوع الفصح» . اما السريان الكاثوليك — وكذا القول عن اليعاقبة — فيطلقون على هذا الاسبوع اسمين : ففي كتاب الاناجيل والحسايات ، نقرأ : «trēn bšabbā, tlātā bšabbā d'aqyamtā etc.» اي : «اثنين ، ثلاثاء القيامة . » وفي الفنقيث (اي كتاب الفرض على مدار السنة) نجد «šabta d'Héwārē, trēn bšabbā, tlātā bšabbā d'Héwārē.» وفي كتاب النافورة للموارنة نرى في قسم الاناجيل بالكرشوني : «اثنين الحواريين ، ثلاثاء الحواريين الخ» على ان الكلدان — وكذا الناطرة — لا يدعى هذا الاسبوع في طقسهم بل (šabta d'Héwārē) (šabat šabē)

فالناجم من هذا كله ان الطقوس الشرقية ليست بمتفقة في تسمية هـذا الاسبوع ؛ او بالاحرى انها جميعها مجمعة على الاطلاق عليه اسم « اسبوع القيامة او الفصح » وانما تختلف في وسمه باسم «Sabta d'Héwarê». فالسريان الغربيون وحدهم ، اي الكاثوليك ، واليعاقبة ، والموارنة قد ابقوا هذا الاسم مع الاسم الاول . وقد ترجمه بعضهم باسبوع الحواريين . اما الكنيسة الغربية ، فقد دعته ، فضلاً عن اسمه العام وهو : «*Hebdomada Paschae*» (اي اسبوع الفصح) باسم آخر وهو «*Hebdomada albarum*» (اعني اسبوع البيض) ؛ الا انها لم تطلق عليه قط «*Hebdomada apostolorum*» (اسبوع الرسل) .

على ان من الشرقيين النصارى من يزعم ان الرسل دعوا (Héwarê) اي البيض . ومن ثم ناسمهم الحواريون ، لانهم كانوا يلبسون الثياب البيضاء ؛ ولذا وجب ترجمة (Sabta d'Héwarê) «باسبوع الحواريين» لان تلك الايام مختصة بهم .

اما من جهة اللبس فنقول : نعم ان اوسابيوس القيصري قد ذكر ، نقلاً عن هيجيسيوس ، ان القديس يعقوب ، اخا الرب ، كان يتشح برداء من كتان ؛ نعم ان اساقفة الفرس كانوا يرتدون بالاردية البيضاء . لكن هذا لا يدل على ان الرسل ، من بدء تبشيرهم ، قد اتخذوا لهم ثياباً خصوصية ، تميزهم عن بقية الناس ؛ وانها كانت بيضاء لا غير ؛ مما حمل القوم على تلقيبهم بالبيض . وان كان ذلك حقيقياً ، فلمَ لا نرى اثرًا لهذه التسمية في بقية الكنائس الشرقية ، فضلاً عن الغربية ؟

اما المؤكد فهو ان الرسل كانوا يلبسون الثياب التي كانت مستعملة في زمانهم ، وقد بقي اثرها في اردية الاكليروس الذي ، حتى القرن السادس ، كانت ملابسه كملابس العلمانيين ذوي المقامات . حتى ان البابا بلستينوس قد ذمّ في منشوره استعمال ثياب خاصة كنسية . واليك ما جاء في كتاب الليترجيات لصاحب النبطة ، السيد رحماني ، بطريركنا السرياني ، المثلث الرحمات ؛ قال رحمه الله (ص ١١٦) « ان القسوس والاساقفة بطبقاتهم ، لم يكونوا يتميزون عن العلمانيين في زيّهم الظاهر للعيان ، الّا باللحية ؛ اذ لم يكونوا يحلقونها ، دلالة على زهدهم في الدنيا . وكانت اردية القسوس والاساقفة ، في الغالب ،

كاردية الاشخاص الوقورين من العلمانيين . فيلبسون الطيلسان غير المبهرج ، باللون الاسود ؛ وفوق الطيلسان ، يتدرعون بالجبّة . وقد ورد في مجموعة التواريخ ، لميخائيل الكبير ، بطريرك السريان اليعاقبة ، عن سيينوس الذي كان اسقف شيعة النوباطيين في القسطنطينية ، على عهد يوحنا الذهبي الفم ، انه كان يلبس الطيلسان باللون الابيض ، فلاموه . فكان من جوابه لهم : « وفي اي كتاب ورد ان نلبس الاسود ؟ »

فمن هنا نستدلّ على ان الاكليروس كان في القديم يلبس كالعلمانيين ، الثياب البيضاء او ذات الالوان الفاتحة — كما الامر جارٍ حتى اليوم ، عند الروم الارثذوكس وغيرهم — وقد درجت العادة ، بتوالي القرون ، ان يتشحوا بالسواد ، علامة على التجرد والزهد . فان كان الاكليروس ، بعد عدة قرون من تأسيس الكنيسة ، لم يكن لهم ما يميزهم عن العلمانيين ، بزي ثيابهم ؛ فباولى حجة لم يكن للرسل ثياب خاصة تفرقهم عن غيرهم . زد على ذلك انه لو كان هذا الاسم قد اطلق حقيقة على الرسل ، فلم يكن لهم سوى لقب عرضي ولا اسمهم الخاصّ المذكور في الانجيل ، والذي دعاهم به معلّمهم ، كما تشهد عليه نصوص كثيرة منها الآتي : « ودعا يسوع تلاميذه الاثني عشر ، واعطاهم السلطان على الارواح النجسة ليخرجوها ، ويشفوا كل مرض وكل ضعف وهذه اسماء الاثني عشر « رسولا » الاول سمعان . . . هؤلاء الاثنا عشر ارسلهم يسوع وامرهم قائلا : الى طريق الامم لا تتجهوا . »

معنى « HEWARE et SABTA D'HEWARE » الحقيقي

فاذا كان الأمر كذلك ، فما مدلول هاتين العبارتين ، وعلى من اطلقتا ، ان كان اطلاقهما على الرسل غير صحيح ؟ للجواب على هذا جواباً شافياً ، يتحتم علينا بادئ بدء ، ان نعلمك ماهية الاشتراك في الدين المسيحي فنقول : الدخول في حظيرة المسيح كان يتطلب ثلاثة امور : العماد ، والتثبيت ، والتناول . على ان الكنيسة ، لكثرة المقبلين اليها ، اخذت ، منذ الاوائل ، يوضع قوانين لتهيئة الطالبين وامتحانهم في ذا الشأن . فنشأ من هذا ما سمي في العرف الكنسي « بالموعظية » . وكان هذا التعليم الاستعدادي يجري منذ بدء

الصيام الكبير ، لكي يتمكن الموعوظون من قبول سرّ العماد « ليلة عيد الفصح » على ان بعض الاحيان ، إمّا لقصر الوقت ، او لداعٍ آخر ، كان عماد المنتخبين من الموعوظين يؤجل الى آخر المدة الفصحية ؛ الى ان جاء زمان عُيّن لذلك ليلة العنصرة . اما الكنيسة الشرقية فزادت يوم عيد الدنح او الغطاس ؛ وبتوالي الايام ، جرت العادة ان يمنح هذا السر في عيد الميلاد وغيره ؛ حتى جاز اخيرًا ان يعتمد في اي عيدٍ او احدٍ او يومٍ من السنة .

هذا ، وكان هناك عادة قديمة وهي ان يلبس المعتمدون ، بعد عمادهم « ثياباً بيضاً » دلالة على تطهر قلوبهم بنعمة هذا السرّ . وكانوا يبقون لابسينها منذ ليلة القيامة الى الاحد التابع . وطيلة الاسبوع ، فضلًا عن طقس القيامة العام للمؤمنين قاطبة ، كان يجري طقس آخر مختصّ بهم . فكان يقام لهم صباحاً قداس حافل ؛ وماء دورة ، يتقدمهم فيها الاكليروس سائرين الى جرن العماد ، حيث يذكر عمادهم . وكان هذا الاسبوع يسمّى « اسبوع البيض » من اجل ثيابهم ، كما صرّح بذلك كثيرون من الآباء والكتبة الكنسيين ؛ نجتزئ ، ادعاماً لقولنا ، بشهادة الربان مورس القائل : « اننا ندعو هذه السبعة الايام « بيضاً » لان الذين تعمدوا في الليلة المقدسة (ليلة القيامة) يتوشحون باردية بيضاء في كل هذا الاسبوع » وكانت هذه المدة تنتهي بحفلة ختامية « حفلة نزع الثياب البيض » تقام يوم الاحد الجديد ؛ وكانت عادةً قديمةً في جميع الكنائس الشرقية والغربية . ولتأخر العماد ، احياناً ، الى العنصرة ، واجرائه آنئذٍ كما في ايام القيامة ، دعي اسبوع العنصرة ايضاً « اسبوع البيض » وفي السريانية «Yawmatā hĕwārē d'Pentequstē» لكن ، لما انتشرت عادة التعميد ، منذ الطفولة ، وفي اي يوم من السنة ، زال هذا الطقس «طقس البيض » ولم يبق منه ، فعلًا ، سوى القميص الصغير الابيض الذي يوضع على رأس المعمَّد ، بعد عماده ، دون ان يلبسه . واستمرّ اثره في الاسماء ايضاً ؛ ففي الكنيسة اللاتينية في هذه العبارات وغيرها : «*Hebdomada in albis, sabbatum in albis, dominica in albis*» . اما الكنائس الشرقية فقد بطل عندها الطقس ومسماه ؛ الّا الكنائس السريانية الغربية ، فقد ابقت الاسماء

فقط ، مثل «'abta d'Héwārē, etc.»

على انه مهما يكن من الامر ، فلا نرى في هذا الاسم او في هذا الطقس ادنى اشارة الى الرسل ، صراحة او تلميحاً . فاذن الظاهر ان لا صحة للرأي القائل بان (Héwārē) تدل على تلاميذ المسيح ؛ وبانه من الواجب ترجمة (Šabta d'Héwārē) «باسبوع الحواريين» بل الاظهر هو ان تترجم (Héwārē) « بالبيض » و (šabta d'Héwārē) « باسبوع البيض » كما اثبتناه . واذا كان الامر كذلك ، نجم ان « الحواريين » غير آتية من لفظة (Héwārē) ومن ثم فلم يصب المرمى لا المسلمون ولا النصارى في تعليلهم « اصل الحواريين القرآنية » ، وسبب ظنهم ان الكلمة عربية او سريانية ؛ فحاولوا اشتقاقها من « حَور » (Ḥwar) واولوها تلك التآويل التي لم ينزل بها الله من سلطان[1]

اصل كلمة «الحواريين» الحقيقي

اما اليوم ، فبفضل « المقابلة الالسنية السامية » المتطلبة الوقوف على هذه اللغات الاخوات ، قد عرفنا ان « الحواريين » لا عربية ولا سريانية ، بل « حبشية » . وقبل ان نبين لك ذلك من الجهة الألسنية ، نمهد لك السبيل باظهار طريقة دخول هذه اللفظة من الحبشية الى العربية . غير خاف على من عرف تاريخ جزيرة العرب ان الحبشة — وهم في الاصل عرب يمنيون ، نزحوا تدريجاً ، الى افريقية ، جملة قرون قبل الميلاد — كانوا قد تنصروا منذ العصور المسيحية القديمة . وقد استولوا على اليمن عدة مرات . وكان تملكهم الاخير عليه في اوائل القرن السادس ، على يد ارياط وابرهة الاشرم . فكان للحبشة النفوذ العظيم والايد الطولى في نشر النصرانية هناك ، قبل الاسلام ، وناهيك بشهرة صنعاء والقليس كنيستها ، ونجران واسقفها قسّ بن ساعدة ، خطيب العرب وشاعرها . ولا حاجة الى اثبات ما كان ، في زمن محمد بن عبدالله ،

١) زيادةً في الافادة ، نحيل القارئ ، في ذا الشأن ، الى الكتب الآتي ذكرها :

1) *Dictionnaire d'archéologie chrétienne et de liturgie, t. I, P.II, pp. 3118 ss.*

2) *Origine du culte chrétien, par* Duchesne, *chap. IX, pp. 299 ss.*

3) *Thesaurus syriacus, auctore* P. Smith, *t. I, p 1231*

من الاتصال بين الحجاز وبلاد الحبشة ؛ وبين الحجاز واليمن . فان اول المهاجرين ارسلهم زعيمهم الى ديار الاحباش ، عند النجاشي. ويذكر المفسّرون ، ومنهم الطبري (مجلد ٣ ، ص ٢٠٨) انه « لما بعث رسول الله (ص) وسمع به اهل نجران ، اتاه منهم اربعة نفر من خيارهم ، منهم العاقب والسيد وماسرجس وماريحنس . وكان اهل نجران اعظم قوم في النصارى في عيسى قولاً.» فاذن عرف محمد الحبشة ؛ وقد خالط نصارى اليمن ، ولاسيما اهل نجران ، باساقفتهم وكهنتهم ؛ وقد جادلوه ، فدعاهم الى المباهلة . فلا ريب انه وقف على تسميتهم تلاميذ المسيح « بالحواريين » اذ كانت هذه الكلمة ، مع غيرها من المصطلحات الدينية ، كالمصحف والمنبر ، قد دخلت في كتبهم ودرجت على السنتهم ، من اللغة الحبشية ؛ كما نقل ايضاً الى لسانهم ، غير الفاظ من اللغات الارمية والعبرية والاغريقية ، كالكاهن والاسقف والقسيس والانجيل . فلا غرابة اذن في اطلاق النبي في قرآنه اسم « الحواريين » على رسل المسيح

فاذا عرفت هذا ، هاك تعزيزه لغوياً ، اعلم ان كلمة « الحواريين » صادرة من الفعل الحبشي (Hāra) ومدلوله : سار ، سافر . واسم الفاعل منه (Hawāreyā) وجمعه (Hawāreyāt) ويأتي بمعنى السائر والمسافر والسابق ويطلق على المرسل والمبعوث والسفير . وفي الانشاء الديني والكنسي يدل بنوع خاص على رسل المسيح ، كلما اتى ذكرهم في العهد الجديد . مثال ذلك : قصص الرسل (Gebera Hawāreyāt) وجلة (Mashafa Hawāreyā) تعني : مصاحف او رسائل الرسول (بولس) . واما النسبة فتكون بزيادة واو وياء ؛ مثلاً : (Hawāreyāwī) الرسولي و (Manbar hawāreyāwī) تعريبه : الكرسي الرسولي.

الخلاصة

الظاهر ، مما تقدم ، ان لفظة « الحواريين » ، قرآنية كانت ام غير قرآنية ، ليست بمشتقة من فعل « حَوِر » وانها لا تطلق على قوم كانوا قصّارين او ملوكاً او انقياء القلوب او انصاراً او صحابة ؛ ولا هي آتية من كلمة (Hewānē) السريانية ؛ لان هذه وصف استُغني به عن الموصوف ، وهو (Lbūšō = لبوشو) ، فقام مقامه ، دالاً على الثياب البيض التي كان يلبسها

المعتدون الجدد . ومن ثم ، فلا مسوّغ لترجمتها بكلمة الحواريين . امـاً « الحواريون » هذه فهي حبشية ، معناها الرسل ؛ دخلت العربية بدخول الحبشة الى اليمن ؛ وعن اهل نجران تلقاهـا عرب الحجاز ، ومنهم نبي الاسلام ، صاحب القرآن . فانت ترى ان الفرقان قد جاء ، في ذا الشأن ، في غاية الاتفاق مع الانجيل ، بتسميته تلاميذ المسيح ، لا باسم خيالي او مستعار ، بل باسمهم الحقيقي الذي دعاهم به ربّهم ، والدالّ على دعوتهم وهي ارساله كلًا منهم الى الورى شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا ؛ وهذا الاسم هو ، كما سبق القول ، لفظ « الحواريين » المرادف كل المرادفة لاسم « الرسل ، جمع رسول » وهـذا ما لم يشعر به اهل المصحف ابان وضعه وانتشاره ؛ ولا اطلع عليه العلماء الاقدمون ، من مسلمين ونصارى ، لخلل ملازم طريقـة تقصيهم في اثر الالفاظ ؛ وهو ما قد ظهر جليًا في هذا العصر ، عصر التنقيب والتمحيص ، بفضل « الالسنية الساميّة » الكثيرة الفوائد للساميين ولغاتهم .

على اننا ان وقفنا ، بنور العلم العصري ، على حقائق خفيت عن السلف ، فهذا ليس مما يدفعنا — معاذ الله — الى الحطّ من قدرهم ، وبخسهم حقهم . كلًا ! لانهم ان فاتهم شيء فقد عرفوا اشياء . ولذا ، فقبل ان نختم البحث ، نريك شيئًا من الصحة في قول من الاقوال التي ابداها ارباب التفسير ، في شأن كلمة الحواريين . فقد جاء في النصّ الذي نقلناه عن النيسابوري ما يأتي « عن الضحاك : الذي يغسل الثياب يسمّى بلغة النبط حواري » فلاحظ ، بعد الذي علمته ، كيف ان هذا الكلام ، مع ما شابه من النقص ، لا يخلو من بعض الصواب . اجل ! انه قد طاش سهم صاحبه بقوله ان لفظة « الحواريين » تطلق على من يغسلون الثياب ؛ لكنه قد اصاب المرمى بارتيابه انها « ليست بعربية ، بل معرّبة » وإن بَعُدَ عن الحقيقة في خصوص اللغة المأخوذة عنها ؛ اذ « قيلَ » له انها النبطية ، على حين انها « الحبشية »

على كلّ ، انت ترى ان هذا الرأي ، وهو من آراء القدماء ، قـد جاء من جهة صوابه ، شاهدًا بعض الشهادة على ما بسطناه ، في هذا المقال ، من مختلف الحجج في « اصل كلمة الحواريين . »